تعلمت من ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ

(٨)

٢٥/ ٧/ ١٤٣٦هـ

المعْلمُ التاسع[١]: الزهد في الدنيا:

ما أشرف هذا المسلك وأعظمَه! الذي حقيقته: «تركُ الرغبةِ فيما لا ينفع في الدار الآخرة؛ من فضول المباح التي لا يُستعان بها على طاعة الله»[٢].

وإن من أعلى مراتب الزهد: أن يكون المرءُ قادرًا على حيازة حُطام الدنيا، بل وتأتيه الدنيا، وتُعْرَض عليه، ومع ذلك تراه زاهدًا فيها لا يريدها، يأخذ منها قدْر البُلغة، ويجعلها في يده لا في قلبه، ويستخدمها، ولا يَخدمها، وهذا ما أحسب أن شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان متّصفًا به، كما شهد بذلك القاصي والداني.

---

(١) أشرتُ فيما سبق إلى ثمانية معالم تميزت بها شخصية شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي: (وضوح الهدف)، و(الثبات على المنهج والهدف الذي رسمه لنفسه)، و(العناية بالقرآن حفظًا وفهمًا وعملًا)، و(حبّه لنشر العلم واغتنام الفرص لتبليغ الشريعة)، و(التثبت في النقل والحكم)، و(عنايته بالتحصيل العلمي لطلابه)، و(حرصه على تطبيق السنة في أموره كلها)، و(حرصه على الوقت)، وأتابع في هذا المقال ذِكر بعض تلكم المعالم.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢١).

لقد كان شيخُنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ قادرًا على العيش عيشة كبار الأغنياء والأثرياء، ولكنه رضي من ذلك بالقليل، ولله درّ الشـــاعر حينما وصف إتيانَ الدنيا للشيخ وإعراضَه عنها بقوله:[1]

لـكــأنـي أُبصِـرُ الدنيــا الــتي
بَذلـتْ إغــراءَهـا للنــاظرين

أقبلـتْ تَعــرِضُ مِـنْ فتنتِــهـا
صورًا تَســبي عقولَ الغــافلين

رقصــتْ مِن حـولِــه لكـنَّـهـا
لم تجِــدْ إلا ســموَّ الزاهــدين

أرســـلَ الشـــيخُ إليها نظـرةً
مِن عزوفِ الراكعينَ الساجدين

فمضـتْ خـائبةً خــاســـرةً
تتحـاشى نظراتِ الشـــامتين

أخـرجَ الدنيــا من القـلبِ وفي
كفِّه منـها بــلاغُ الـزاهـــديـن

لم يكـــنْ فـي عزلـةٍ عنْـها ولـم
يُغلقِ البابَ عنِ المســترشـدين

(١) مــن قصيــدة للدكتــور عبدالرحمــن العشــماوي، نُــشرت في (الجزيــرة) بتاريــخ ٢١/ ١٠/ ١٤٢١هـ.

إن هـــذا الخُلق العظيم من أعظم مزايا الشـــيخ، بـــل ولعلّه من أكبر الأســـباب -مع وفور العلم والورع- التي جعلت للشـــيخ هذا القبولَ العظيمَ.

ومما اشـــتهر عند العامة والخاصّة أن الملـــك خالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما زار عنيزة في أوائل عام ١٤٠١هـ، عرَض على شـــيخنا أن يَبنـــي له بيتًا على الطراز الحديث بدلًا من بيته الطِّيني؛ فاعتذر شـــيخُنا بلُطف، وقال: الأهم من ذلك بناء الجامع، ووُقِف لطلاب العلم الغرباء.

ومن جميل ما وقفتُ عليه مما كُتِب عن الشـــيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما كتبه أحدُهم متحدثًا عن سر القبول العظيم الذي وضعه الله للشـــيخين العالمين: ابن باز، وابن عثيمين رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ، أســـوق بعضَ كلامه، حيث يقول: «لماذا كل هذه العواطف الجيّاشة تجاه هذين الرجلين؟ وما هو سِر محبتهما في قلوب الجميع؟ هل هناك عوامل أو صفات مشتركة بينهما؟ هل المستوى العلمي وحده هو المحرّك لتلك العواطف؟ بمعنى هل هو التميز العلمي فقط؟ أم السلوك الشخصي؟ أم ماذا؟ في اعتقادي أن الوقفات الآتية تتضمن نقاطًا مهمة في قراءتنا للموضوع، وفي محاولتنا لتفسير أي غموض يكتنفه:

أولًا: أهمية العفّة والنزاهة بالنسبة للجميع وبخاصة العلماء، ودورها في إضفاء الهيبة والوقار عليهم، ومحبة الناس لهم، لقد كانت العفةُ والنزاهة التي تميّز بها كلٌّ منهما -وبحق- مصدر ثقة بهما، ومحبة لهما، وعزة وكرامة لهما في الدنيا، وأرجو أن تكون شافعة لهما يوم القيامة، وأحسب أن العفّة والنزاهـــة رايةٌ بيضاءُ يجب أن تُميِّز طالـــبَ العلم الشرعي، وثوبٌ ناصعُ البيـــاض يرتديه، ويميّزه عن طلّاب الدنيا، وقـــد أثبت التاريخُ أن العفّة

والنزاهـــة تُضفي على أصحابها من العلماء هيبـــةً ووقارًا في قلوب العامة والخاصة.

ثانيًا: الزهد في الدنيا الفانية، بما فيهـــا من وظائف وأموال، واحتقارُ المادّة وغيرها مهما بلغ حجمُها»[1].

جعلنـــا الله مـــن الزاهدين في الدنيا عـــلى الوجه الـــذي يرضيه عنا، وللحديث صلةٌ إن شاء الله.

(١) كتبه د. فهد السلطان في جريدة (الجزيرة) ١٢/ ١٠/ ١٤٢١هـ (ص٢٩).